سنة الله في التسخير

أ.د. صالحة بنت الشريف(*)

• **المقدمة:**

الحمد لله الذي أكرم بني آدم وفضلهم على العالمين، وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه ليكونوا من الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو الكرم والفضل المبين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المصطفى على العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا.

وبعد،،،

فإن معرفة السنن الإلهية والتأمل في دلالاتها في كتاب الله ﷻ، من أعظم الوسائل الموصلة إلى العلم بالله تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأقرب الطرق إليه، وأقوى الآيات الدالة عليه، ومن أعظم العلوم التي يرتقي بها البشر في حياتهم.

وسنن الله ﷻ التي ذكرها في كتابه العزيز كثيرة جدًا، منها: سنة الله في التغيير، وسنة الله في الفتنة والابتلاء، وسنة الله في التدافع بين الناس، وكذا سنة الله في التسخير، فالله عز وجل سخر لنا هذا الكون بما فيه من سموات وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر.... وغير ذلك.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [سورة لقمان:٢٠] وذلك ليتمكن الإنسان من تحقيق الخلافة في

(*) أستاذ مساعد في تخصص: التفسير وعلوم القرآن - كلية الآداب والعلوم الإسلامية - جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

الأرض، وعبادة الله ﷻ، ويستخدم هذا التسخير في طاعة الله ﷻ، وشكره على نعمه.

وقد عرضت في هذا البحث للمسخرات في هذا الكون التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، وسميته "سنة الله في التسخير" واقتصرت فيه على ما جاء بلفظ التسخير دون غيره، وقد رتبت المسخرات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم حسب ترتيبها في المصحف الشريف، ثم ختمت البحث بذكر أهم العبر والعظات التي جمعتها من بطون الكتب، وأقوال العلماء عند تفسيرهم للآيات الكريمات التي ورد ذكر لفظ التسخير فيها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- يتبين للمتأمل في كتاب الله ﷻ أهمية هذا الموضوع من خلال كثرة ذكر لفظ التسخير ودلالته في القرآن الكريم، وتعداد الله للمسخرات لبني آدم.

٢- إظهار نعم الله علينا في هذا التسخير الذي لولاه لما عاش الإنسان في هذه الأرض.

٣- بيان أن تسخير ما في الكون للإنسان ليقوم بوظيفته والغاية من خلقه وهي عبادة الله سبحانه وتعالى حق عبادته.

٤- التدبر في هذه المسخرات، وأنها تسير وفق منهج الله عز وجل لا تحيد عنه.

٥- إن التفكر والتأمل في كل ما سخره الله لنا في هذا الكون البديع حولنا يزيل ما يعلق بالنفس البشرية من الغفلة بسبب الإلف والعادة.

٦- يعد البحث في هذا الموضوع صورة من صور التفسير الموضوعي، والذي هو دعوة كثير من الباحثين وطلبة العلم اليوم في تخصص التفسير وعلوم القرآن.

٧- على الرغم من أهمية هذا الموضوع وَجِدَّتِهِ، وعظيم فائدته إلا أنني لم أجد – فيما اطلعت عليه – من أفرد موضوع " التسخير " ببحث مستقل.

خطة البحث :

وقد قسمت البحث إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

* **المبحث الأول: في معنى التسخير:**

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: تعريف التسخير لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: خصائص سنة التسخير.

* **المبحث الثاني: المسخرات في القرآن:**

وفيه أحد عشر مطلبًا :

المطلب الأول: تسخير ما في السموات وما في الأرض.

المطلب الثاني: تسخير السحاب.

المطلب الثالث: تسخير الشمس والقمر.

المطلب الرابع: تسخير النجوم.

المطلب الخامس: تسخير الفلك.

المطلب السادس: تسخير الأنهار.

المطلب السابع: تسخير الليل والنهار.

المطلب الثامن: تسخير البحار.

المطلب التاسع: تسخير الطير.

المطلب العاشر: تسخير البدن.

المطلب الحادي عشر: تسخير الخلق بعضهم لبعض.

* **المبحث الثالث: العبر والعظات المستفادة من آيات التسخير.**

• المبحث الأول: في معنى التسخير:

المطلب الأول: تعريف التسخير لغة واصطلاحًا:

التسخير في اللغة: التذليل، وكل ما ذل وانقاد أو تهيأ لك على ما تريد فقد سُخِّر لك(١)، والتسخير سياقه إلى الغرض المختص قهرًا(٢).

والسخرة: ما تسخرت من دابة أو خادم بلا أجر أو ثمن(٣) وسخرته: أي قهرته وذللته.

وقوله تعالى: ﴿وسخر لكم الشمس والقمر﴾: أي ذللهما.

﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾: جاريات مجاريهن، وسخره تسخيرًا: ذلله وكلفه ما لا يريد وقهره وكل مقهور مدبر لا يملك لنفسه ما يخلصه من القهر فذلك مسخر(٤).

وفي التنزيل ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ أي: سلطها(٥).

قال الزجاج في تفسير قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة لقمان: ٢٠] تسخير ما في السماوات: الشمس والقمر والنجوم، ومعنى تسخيرها للآدميين الانتفاع بها في بلوغ منابتهم، والاهتداء بالنجوم في مسالكهم، وتسخير مافي الأرض: تسخير بحارها وأنهارها ودوابها وجميع منافعها"(٦).

---

(١) لسان العرب ٤/٣٥٤، تاج العروس ١١/٥٢١.

(٢) الراغب ٢٢٧.

(٣) لسان العرب ٤ /٣٥٣، المصباح المنير ٣٦٦، تهذيب اللغة ٧/٧٧.

(٤) تاج العروس ١١/٥٢٢ .

(٥) المعجم الوسيط ٤٢١.

(٦) الزجاج ٤/١٩٩.

أما التسخير في الاصطلاح:

فقد عرف المفسرون – رحمهم الله – التسخير بمعانٍ متقاربة منها :-

١- عرف الطبري التسخير عند شرحه لقوله ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ فقال: أي ذللهما لمنافع الخلق[١].

٢- وقال ابن عطية: وتسخير البحر هو تمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله للركوب والإرفاء وغيره[٢].

٣- وفي الدر المصون: التسخير التذليل وجعل الشيء داخلاً تحت الطوع[٣].

٤- وعرفه البقاعي بقوله: التسخير: إجراء الشيء على مقتضى غرض ما سخر له[٤].

٥- وعرفه الطاهر ابن عاشور بقوله: التسخير حقيقته التذليل والتطويع، والتسخير: تسهيل الانتفاع بدون مانع، وهو يؤذن بصعوبة الانتفاع لولا ذلك التسخير[٥].

المطلب الثاني: خصائص سنة التسخير:

١-سنة عامة فلم يخص بها المسلم دون الكافر، أو الطائع دون العاصي، وهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى وحكمته البالغة قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة لقمان: ٢٠]

---

(١) جامع البيان للطبري ١٣/٩٥.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية ٣/٣٨٣.

(٣) الدر المصون للسمين الحلبي ١/٦١٣.

(٤) نظم الدرر للبقاعي ١/٢٩٧.

(٥) ابن عاشور ١٧/٣٢١.

٢-سنة ثابتة لا تتغير، مستمرة تسير وفق نظام محكم إلى يوم القيامة ، قال تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣] ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سورة الرعد: ٢]

٣-سنة جارية بأمر الله وحكمه وقدره سبحانه وتعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢]

٤-سنة تدعو الإنسان إلى العمل، والانتفاع بالمسخرات في الكون، واستغلالها للنفع العام قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٢]

- **المبحث الثاني: المسخرات في القرآن الكريم:**

إن الله عز وجل أنعم علينا بنعم عديدة، وسخر لنا كثيرًا من مخلوقاته في هذا الكون التي فيها الفوائد لعباده، ذكرها الله ﷻ في كتابه الكريم تارة على سبيل العموم كما في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة لقمان: ٢٠] ، ومنها ما جاء بلفظ الخصوص كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣] ، وسأعرض فيما يلي المسخرات التي ذكرها الله في كتابه الكريم مبتدئة بالمسخرات التي جاءت بلفظ العموم.

المطلب الأول: تسخير ما في السموات وما في الأرض:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٦٥]

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [سورة لقمان: ٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٣]

جاءت هذه الآيات عامة في تسخير ما في السموات وما في الأرض من مسخرات واضحة وجلية نص عليها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم، مثل تسخير الليل والنهار، والشمس والقمر، والبحار والأنهار، والدواب وغيرها... ومنها مسخرات لا يعلمها الإنسان، وليست في إدراكه أو تصوره، أخبر الله ﷻ عنها في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، مثل الملائكة الحفظة للإنسان، وللسموات والأرض، والمدبرة للكون بإذن الله ﷻ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثر: ٣١]

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة لقمان: ٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ أيها الناس ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من شمس وقمر ونجم

وسحاب ﴿وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم، لغذائكم وأقواتكم، وأرزاقكم وملاذكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه، ﴿وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وبَاطِنَةً﴾ التي سخرها الله للعباد مما في السموات والأرض[١].

فمن نعم الله على بني آدم تسخير ما في السموات وما في الأرض مما لا يحصى كثرة، وجعل المسخر بحيث ينتفع به المسخر له سواء كان منقادًا له وداخلاً تحت تصرفه أم لا[٢].

وهذا التسخير يكون بالتسهيل، ويكون بالانتفاع به[٣]، فالله عز وجل ذلل لنا ما في السموات وما في الأرض، وسهل للإنسان الانتفاع بكثير مما وجد فيها، وأعطاه القدرة على استخدام الكثير من مسخرات هذا الكون، فلا أصلبَ من الحجرِ ولا أشدَّ من الحديدِ ولا أهيبَ من النّارِ وهي مسخَّرةٌ لكم، وتقديمُ الجارِّ والمجرورِ على المفعولِ الصَّريحِ لما مرَّ مرارًا من الاهتمامِ بالمقدَّمِ لتعجيل المسرَّةِ والتّشويقِ إلى المؤخَّرِ[٤].

ولولا التسخير لما استطاع الإنسان أن يتطور، وأن يستغل ما في السموات وما في الأرض من خيرات لمصلحته ومنفعته، والأمثلة في هذا الجانب كثيرة يطول المقام لشرحها، أو حتى استيفاء جزء منها، فالله عز وجل وهب الإنسان العقل والقدرة على الاستفادة من هذه المسخرات،

---

(١) جامع البيان للطبري ٧٧/٢١.

(٢) فتح القدير للشوكاني ٢٤١/٤.

(٣) النكت والعيون للماوردي ٣٤٢/٤.

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١١٨/٦.

وذللـــها له، فسعى لاستغلالها والاستفادة منها، وما نراه اليوم مـــن تطـــور البشرية في كل المجالات إنما هو بفضل هذا التســـخير مـــن الله ســـبحانه وتعالى.

وقد خص الله سبحانه وتعالى بالذكر بعض المسخرات مما يـــدخل فـــي عموم تسخير ما في السموات وما في الأرض، وستأتي في المطالب التالية:

المطلب الثاني: تسخير السحاب:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤]

السحاب: اسم جنس واحدته سحابة، سمي بـــذلك لانســـحابه(١)، وقيـــل للسحاب سحاب إن شاء الله لجر بعضه بعضًا وسحبه إياه(٢)، قال الخـــازن: السحاب: الغيم المذلل سمي سحابًا لسرعة سيره كأنه يسحب، والآية في ذلك أن السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الأوديـــة العظيمـــة يبقى معلقًا بين السماء والأرض(٣).

والآية في تسخير السحاب من ثلاثة أوجه:

١- ابتداء نشوئه، وانتهاء تلاشيه.

---

(١) الدر المصون للحلبي ٦١٣/١ ، وانظر: الشوكاني ١٦٤/١

(٢) الطبري ٦٥/٢، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٢٣٤/١

(٣) لباب التأويل للخازن ١٣٦/١.

٢- ثبوته بين السماء والأرض من غير عَمَد ولا علائق.

٣- تسخيره وإرساله إلى حيث يشاء الله عز وجل[١].

قال الطاهر ابن عاشور: وتصريف السحاب المسخر أي: نقله من موضع إلى موضع، وهو عبرة ومنة أما العبرة ففي تكوينه بعد أن لم يكن، وتسخيره وكونِه في الفضاء، وأما المنة ففي جميع ذلك فتكوينه منة، وتسخيره من موضع إلى موضع منة، وكونه بين السماء والأرض منة لأنه ينزل منه المطر على الأرض من ارتفاع فيفيد اختراق الماء في الأرض، ولأنه لو كان على سطح الأرض لاختنق الناس فهذا ما يبدو لكل أحد[٢].

قال السعدي: وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض - على خفته ولطافته - يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء، فيحيي به البلاد والعباد، ويروي التلول والوهاد، وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه، فإذا كان يضرهم كثرته، أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفا، ويصرفه عناية وعطفًا، فما أعظم سلطانه، وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه[٣].

وقد بين الله ﷻ في آيات أخرى من كتابه الكريم كيفية تسخير السحاب، ومن ذلك:

---

(١) النكت والعيون للماوردي ٢١٨/١.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٧/٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٧٩.

- أن الله يسوقه إلى الأرض الميتة فيحييها به ويخرج به من كل أنواع الثمار، قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٧]، قال ابن القيم: ومن آياته السحاب المسخر بين السماء والأرض كيف ينشئه سبحانه بالرياح فتثيره كسيفًا ثم يؤلف بينه ويضم بعضه إلى بعض ثم تلقحه الريح وهي التي سماها سبحانه لواقح ثم يسوقه على متونها إلى الأرض المحتاجة إليه فإذا علاها واستوى عليها إهراق ماءه عليها فيرسل سبحانه عليه الريح وهو في الجو فتذروه وتفرقه لئلا يؤذي ويهدم ما ينزل عليه بجملته حتى إذا رويت وأخذت حاجتها منه أقلع عنها وفارقها فهي روايا الأرض محمولة على ظهور الرياح(١).
- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [سورة النور: ٤٣ – ٤٤] أي: إن الله سبحانه وتعالى يدفع هذا السحاب بعضه على بعض ويجمع بينه ثم ينزل المطر من خلاله فيعذب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ففي إنشاء الله السحاب وإنزاله منه الودق، ومن السماء البرد لعبرة لمن اعتبر به، وعظة لمن اتعظ به، ممن له فهم وعقل لأن ذلك ينبئ ويدل على أن له مدبرًا ومصرفًا ومقلبًا لا يشبهه شيء(٢).

(١) مفتاح دار السعادة ٢٠٢/١

(٢) جامع البيان للطبري ١٥٥/١٨

المطلب الثالث: تسخير الشمس والقمر:

جاء ذلك في آيات كثيرة في القرآن الكريم فمن رحمة الله عز وجل بنا أن سخر لنا الشمس والقمر لما فيهما من المنافع والمصالح الضرورية، وهذا يدل على سعة رحمته وعلمه سبحانه وتعالى قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

فتذليلهما بأمره سبحانه وتعالى، ذللهما بالطلوع والأفول تقديرًا للآجال، وإتماما للمنافع، وذللهما لمعرفة عدد السنين والحساب، ومعرفة الليل من النهار فهما يجريان لأجل مسمى حدده الله سبحانه وتعالى وهو يوم القيامة يجريان دائبين، في دقة ونظام يدأبان في سيرهما وإنارتهما في إزالة الظلمة، وفي إصلاح النبات والحيوان، فالشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، ولولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة، ولولا تسخيرها لاختلت مصالح العالم بالكلية(١).

وقال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [سورة الرعد: ٢].

فالشمس والقمر يجريان لأجل مسمى ووقت معلوم، فسخرهما لمصالح الخلق، وذللهما لمنافعهم إلى الوقت المعلوم المحدد من الله سبحانه وتعالى

---

(١) التفسير الكبير للرازي ١٩/١٠١.

وهو فناء الدنيا وقيام الساعة والتي عندها تكور الشمس، ويخسف القمر، وتتكدر النجوم، وتنتثر الكواكب، قال ابن عباس ﷺ: " أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما التي ينتهيان إليها لا يجاوزانها"(١)، يجريان دائمًا فيما يعود إلى مصالح العباد، لا يفتران إلى آخر الدهر(٢)، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣] ﴿دآئِبَينَ﴾ يدأبان في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات(٣)، والدُؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارية(٤)، وقيل: دائبين في السير امتثالاً لأمر الله، فهما يجريان إلى يوم القيامة لا يفتران(٥).

ويقيم الله الحجة على الكفار والمشركين بأنهم إن سئلوا عن الأمور العظام التي هي دلائل القدرة كخلق السموات والأرض، وتسخير الشمس والقمر، لم يكن لهم إلا التسليم بأنها لله تعالى، فكيف يصرفون عن توحيد الله مع إقرارهم بهذا كله(٦) يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦١].

ومن تسخيرهما جعل الشمس ضياء، والقمر نورًا، قال تعالى: ﴿هُوَ

---

(١) القرطبي ٩/٢٧٩، تفسير البيضاوي ٣/٣١٦، الشوكاني ٣/٦٤.
(٢) لباب التأويل للخازن ٤/٤٥ .
(٣) الكشاف للزمخشري ٢/٥٢٣.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٣٦٧، فتح القدير للشوكاني ٣/١١٠.
(٥) المرجع السابق.
(٦) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٤/٣٢٥، تفسير النسفي ٣/٢٦٤.

ﭐلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس: ٥].

قال الطبري: " أجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم، لتعلموا عدد السنين والحساب، وتعرفوا الليل من النهار، ولمعرفة أوقات أزمنتكم وشهوركم وسنينكم وصلاح معاشكم"(١). ومثل هذا قول الحق تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ الأنعام: ٩٦] وقوله عز وجل: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [سورة الرحمن: ٥]

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

"والقمر ينير ضوؤه الأرضَ إنارةً مفيدة، والسراج: المصباح الزاهر نورُه، والإخبار به عن الشمس من التشبيه البليغ والقصد منه تقريب المشبه من إدراك السامع، فإن السراج كان أقصى ما يستضاء به في الليل"(٢) ومنه ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [سورة نوح: ١٦].

قال تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [سورة يس: ٣٩].

"يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلاً قليل النور، ثم يزداد نورًا في الليلة الثانية، ويرتفع منزلة، ثم كلما ارتفع ازداد ضياءً، "قدرناه منازل" أي: جعلناه يسير سيرًا يستدل به على مضي الشهور؛ كما أن الشمس يعرف بها الليل

(١) جامع البيان للطبري ١١/٨٦.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٩/٢٠٣.

والنهار؛ كما قال ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٩][1]

المطلب الرابع: تسخير النجوم:

جاء ذكر تسخير النجوم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٥٤].

وجاء ذكر تسخيرها أيضًا في [سورة النحل، ولم تعطف على تسخير الليل والنهار والشمس والقمر، بل خصها الله سبحانه وتعالى بجملة جديدة مستقلة، أعاد فيها خبر التسخير يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢].

ذلك أن لكل منها منازل، وهي كثيرة على العد، وقد لا نتبينها لكثرتها وتعدد مواقعها، وهي آية عظيمة أقسم بها الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة: ٧٥] وهي مسخرة للخلق قال تعالى: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النحل: ١٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٧].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٥٧٣.

قال ابن القيم: " تأمل تسخيرها منقادة بأمر ربها تبارك وتعالى، جارية على سنن واحد، اقتضت حكمته وعلمه أن لا تخرج عنه، فجعل منها البروج والمنازل، والثوابت والسيارة، والكبار والصغار والمتوسط والأبيض، الأزهر والأبيض الأحمر، ومنها ما يخفى على الناظر فلا يدركه"(١).

وهي أيضًا بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في الطرق المجهولة في البر والبحر فهم ينظرون إليها ويحددون مواقعها التي يعرفون، فيسترشدون عن طريقها إلى وجهتهم في البر والبحر، وهي آية من آيات الله الدالة على عظمة الخالق تبارك وتعالى، وبديع صنعه، تدعو كل غافل من الناس إلى النظر في هذا الكون العظيم من حولنا، فيزداد المؤمن إيمانًا، ويلهج الموحد شكرًا وحمداً.

المطلب الخامس: تسخير الفلك:

ومن تمام النعمة، وعظيم المنة، وكمال فضل الخالق العظيم على البشرية جمعاء أن سخر لهم الفلك تجري في البحر بإذنه وأمره قال الحق تبارك تعالى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٢]، بل وخص الجري بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [سورة الحج: ٦٥] " لأن ذلك الجري في البحر هو مظهر التسخير إذ لولا الإلهام إلى صنعها على الصفة المعلومة لكان حظها من البحر الغرق "(٢).

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/٦٠.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٧/٣٢٢ .

وأفردها بالذكر وإن اندرجت بطريق العموم تحت ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ لظهور الامتنان بها، ولعجيب تسخيرها دون سائر المسخرات[1]، فالله ﷻ سخر للإنسان الفلك: وهي السفن، وسهل جريانها على الماء تنفع الناس، وتنقلهم من مكان إلى آخر ﴿وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤]، أي: في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب ؛ لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم، ونقل هذا إلى هؤلاء وماعند أولئك إلى هؤلاء[2]. قال ابن عطية: ﴿بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾: هي التجارات وسائر المآرب التي يركب لها البحر من غزو وحج[3].

فتسخير الفلك من آيات الله العظام لأنها على كبر حجمها ووزنها إلا أن الله ﷻ سهل وقوفها على الماء والسير عليه قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [سورة الشورى: ٣٢].

فجري السفن آية من آيات إلهام الله تعالى الإنسان للتفطن لهذا التسخير العجيب الذي استطاع به أن يسلك البحر كما يمشي في الأرض، وصنع الفلك من أقدم مخترعات البشر ألهمه الله تعالى نوحًا عليه السلام في أقدم عصور البشر[4]، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٢٧].

---

(١) الدر المصون للحلبي ٤٢٧٢/١ ، وانظر: روح المعاني للألوسي ١٩٣/١٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٢/١.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٢٣٣/١.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٠/٢ .

والآية في تسخير الفلك من وجهين أحدهما: استغلالها لحملها، والثاني: بلوغها إلى مقصدها[١]، وقيل بل: في تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي موقرة لا ترسب تحت الماء[٢].

وسخر لكم الفلك فجرت على إرادتكم واستعملتموها في مصالحكم[٣]، وقيل بل تسخيرها بأن أقدركم على صنعتها، واستعمالها بما ألهمكم كيفية ذلك [٤]، تجري في البحر بتسخير الله وتسييره تجري في البحر العجاج، وتلاطم الأمواج، تجري بأهلها بريح طيبة ورفق وتؤدة، فيحملون فيها ما شاءوا من تجائر وبضائع ومنافع من بلد إلى بلد، وقطر إلى قطر، ويأتون بما عند أولئك إلى هؤلاء[٥]، فتسخير السفن آية من آيات الله سبحانه وتعالى سخرها لخلقه، وألهمهم صنعها وإتقانها والانتفاع بها في الانتقال من مكان إلى آخر، ونقل تجارتهم ومتاعهم.

المطلب السادس: تسخير الأنهار:

وكذلك من الآيات المسخرة للإنسان الأنهار ذات المياه العذبة لشرب الإنسان وسقيه، فمن تسخير الله ﷻ وإنعامه تفجير الأنهار قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَارَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٢].

---

(١) النكت والعيون للماوردي ٢١٧/١.

(٢) تفسير البغوي ١٣٥/١، وانظر: لباب التأويل للخازن ١٣٥/١.

(٣) فتح القدير للشوكاني ١١٠/٣.

(٤) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٤٨/٥، وانظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٣٥/١٣ .

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٤/٣، وانظر: نظم الدرر للبقاعي ٤٠٦/٤.

قال ابن كثير – رحمه الله –: وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر رزقًا للعباد من شرب وسقي[1]، ولما كان ماء البحر لا ينتفع به في سقي الزروع والثمرات ولا في الشراب أيضًا، ذكر نعمته على عباده في تسخير الأنهار، وتفجير العيون لأجل هذه الحاجة، فهو من أعظم نعم الله على عباده[2].

فالأنهار عذبة الماء تقوم عليها الحياة من الإنسان، والدواب، والأنعام، والزروع، والثمار، فلولا المياه العذبة النقية لما استطاع أن يعيش كائن على وجه الأرض قال ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٠].

فالله عز وجل امتن علينا بتسخير الأنهار وتذليلها، وجريانها مسافات طويلة، تقطع البلاد طولاً وعرضًا، فيرتوي منها الناس، فهي من نعم الدنيا المسخرة، وكذلك هي من نعم الآخرة.

قال الرازي: واعلم أن ماء البحر قلما ينتفع به في الزراعات، لا جرم ذكر تعالى إنعامه على الخلق بتفجير الأنهار والعيون، حتى ينبعث الماء منها إلى مواضع الزرع والنبات، وأيضًا ماء البحر لايصلح للشرب، والصالح لهذا المهم هو مياه الأنهار[3].

ومن نعيم أهل الجنة الجنات التي تجري من تحتها الأنهار، لأن النهر ينبت بجانبه الزرع، وتقوم عليه الواحات الخضراء في مناظر

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٤٠.

(٢) لباب التأويل للخازن ٤/٤٥.

(٣) الرازي ١٩/١٠١، وانظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩/٣٦٧.

تسر الناظرين، وتذهب بالألباب بخلاف البحار فإن الماء المالح لا ينبت الزرع، ولا يسقي الضرع، فالفائدة منها خلاف الفائدة من الأنهار.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥].

وقال ﷻ في سورة محمد ﷺ ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [آية: ١٥].

فالله عز وجل سخر لنا الأنهار، وجعلها على سطح الأرض، وليست في باطنه، فهذا من أكبر النعم، فهي لا تحتاج إلى جهد لجلب الماء والانتفاع به، فلو كان غائرًا في باطن الأرض لصعب على الإنسان وما تيسر، ولكن الله ذلله للإنسان، وسهله له قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [سورة الملك: ٣٠].

المطلب السابع: تسخير الليل والنهار:

قال الله تعالى ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢].

إن الله ﷻ سخر الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمعاش الخلق وسباتهم، ومعنى تسخيرهما للناس: تصييرهما نافعين لهم، بحسب ما تقتضيه مصالحهم وتستدعيه حاجاتهم، يتعاقبان دائمًا[1].

ومجيء كل واحد منهما عقب الآخر بتقدير الله لينصرف الناس في معايشهم بالنهار، ويسكنوا بالليل، ويتعاقبان في الضياء والظلمة، والنقصان والزيادة، وذلك من إنعام الله على عباده وتسخيره لهم[2].

فمن نعمة الله تسخير الليل والنهار للإنسان، الليل لراحته وسكونه، ولو كان هذا الليل دائمًا لتعذرت حياة الإنسان معه، وقل نشاطه وإنتاجه، ولضاق بظلامه الحالك، ولكن من رحمة الله ﷻ أن جعل الليل، ثم جعل النهار الذي فيه الضياء والنور ؛ ليسعى الإنسان في طلب الرزق.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة القصص: ٧١ – ٧٢]

"ولو كان نهار دائم أو ليل دائم لفسد جهاز هذا الإنسان فضلاً على فساد ما حوله كله، وتعذر حياته ونشاطه وإنتاجه "[3].

وتارة يطول هذا، ويقصر هذا، وتارة يأخذ هذا من هذا، ثم يتعارضان

(١) فتح القدير للشوكاني ١٥٢/٣.

(٢) لباب التأويل للخازن ٤٦/٤.

(٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ٢١٠٨/٤.

كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحج: ٦١][١].

﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي تعاقبهما في الذهاب والمجيء يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر خلفه أي بعده نظيره قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ والنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ [سورة الفرقان : ٦٢]، قال عطاء: أراد اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان. والليل جمع ليلة والليالي جمع الجمع، والنهار جُمْعُه نُهُر، وقدم الليل على النهار في الذكر لأنه أقدم منه قال الله تعالى: ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ [سورة يس: ٣٧] [٢].

والآية في الليل والنهار أن انتظام أحوال العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة، يكون في النهار، وطلب النوم والراحة يكون في الليل، فاختلاف الليل والنهار إنما هو لتحصيل مصالح العباد[٣].

قال ابن كثير: ينبه تعالى عباده على آياته العظام ومننه الجسام في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان، والشمس والقمر يدوران، والنجوم الثوابت والسيارات في أرجاء السموات نورًا وضياء ليهتدى بها في الظلمات، وكل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه، يسير بحركة مقدرة لايزيد عليها ولا ينقص عنها، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسهيله[٤].

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٠٢/١.

(٢) تفسير البغوي ١٣٥/١ .

(٣) لباب التأويل للخازن ١/ ١٣٥ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٦٥/٢.

المطلب الثامن: تسخير البحر:

قال عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ١٤]

سمي البحر بحرًا لاتساعه، وتسخير البحر للركوب من أعظم آيات الله ﷻ، وتمكين البشر من التصرف فيه، وتذليله للركوب والإرفاء وغيره[١]، وجعلهم يتمكنون من الانتفاع به، وأوجه الانتفاع بالبحار كثيرة جدًا، نذكر منها بعضًا مما ذكر في كتاب الله الكريم:

١- الأكل منه ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك، ووصفه بالطراوة لأنه أرطب اللحوم، يسرع إليه الفساد فيسارع إلى أكله، ولإظهار قدرته ﷻ في خلقه عذبًا طريًا في ماء زعاق[٢].

٢- استخراج ما فيه من اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ التزين بالحلي ولبسها أي: تلبسها نساؤكم[٣].

٣- سير السفن على سطحه، والانتقال بها للتجارة وغيرها ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ﴾ أي: جواري فيه لأنها لا تشق الماء إلا إذا كانت جارية[٤].

٤- الابتغاء من فضله بأرباح التجارات بواسطة الحمل على السفن[٥]﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/٨٥ ، المحرر الوجيز لابن عطية ٣/٣٨٣.

(٢) تفسير البيضاوي ٣/٣٨٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) التفسير الكبير للرازي ٢٠/٧ .

(٥) التفسير الكبير للرازي ١٩/١٠١، أضواء البيان للشنقيطي ٢/٣٤٣.

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن تسخيره البحر المتلاطم الأمواج، ويمتن على عباده بتذليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه، وجعله السمك والحيتان فيه، وإحلاله لعباده لحمها حيها وميتها في الحل والإحرام، وما يخلقه فيه من اللآلىء والجواهر النفيسة، وتسهيله للعباد استخراجهم من قراره حلية يلبسونها، وتسخيره البحر لحمل السفن التي تمخره، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: نعمه وإحسانه[١]، وتخصيص هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث أن فيها قطعًا لمسافة طويلة مع أحمال ثقيلة من غير مزاولة أسباب السفر، بل من غير حركة أصلاً مع أنها في تضاعيف المهالك، ويمكن أن يضم إلى ما ذكر من قطع المسافة على الصفة المذكورة ما اشتمل عليه البحر من كون فيه أطيب مأكول وأنفس ملبوس وكثرة النعم مع نفاستها وحسن موقعها من أعظم الأسباب المستدعية للشكر الموجبة له[٢].

المطلب التاسع: تسخير الطير:

من آيات الله الدالة على قدرته واستحقاقه لأن يعبد وحده ﷻ، تسخيره ﷻ للطير في جو السماء ما يمسكها إلا هو[٣]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة النحل: ٧٩]

فالطير سابحة في هواء السماء بينها وبين الأرض، مذللات للطيران بما

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٦٥.
(٢) فتح القدير للشوكاني ٣/١٥٣.
(٣) أضواء البيان للشنقيطي ٢/٤١٩ .

خلق الله لها من الأجنحة والأسباب المواتية له، ولو سلبها ما أعطاها من الطيران لم تقدر على النهوض ارتفاعًا[1].

﴿فِي جَوِّ السَّمَاءِ﴾ الجو: الهواء المتباعد عن الأرض في سمت العلو[2]، وتسخيرها دليل على مسخرٍ سخرها، ومدبرٍ مكنها من التصرف[3]، وفي تسخير الطير على تلك الصفة لآيات ظاهرات تدل على وحدانية الله ﷻ وكمال قدرته الباهرة[4]، وأنه هو وحده القادر على إمساكها في الهواء مع ثقل جسمها، فكل ما في الكون مسخر لله سبحانه وتعالى.

موقع هذه الجملة موقع التعليل والتدليل على عظيم قدرة الله وبديع صنعه، وعلى لطفه بالمخلوقات، فإنه لما ذكر موهبة العقل والحواس التي بها تحصيل المنافع، ودفع الأضرار نبه الناس إلى لطف يشاهدونه أجلى مشاهدة لأضعف الحيوان، بأن تسخير الجو للطير وخلقها صالحة لأن ترفرف فيه بدون تعليم هو لطف بها اقتضاه ضعف بنياتها ؛ إذ كانت عادمة وسائل الدفاع عن حياتها فجعل الله لها سرعة الانتقال مع الابتعاد عن تناول ما يعدو عليها من البشر والدواب[5] .

قال ابن كثير: نبه تعالى عباده إلى النظر إلى الطير المسخر بين السماء والأرض، كيف جعله يطير بجناحين بين السماء والأرض في جو السماء، ما

(١) جامع البيان للطبري ١٤/١٥٢.
(٢) الكشاف للزمخشري ٢/٥٨٣، تفسير البيضاوي ٣/٤١٣، فتح القدير للشوكاني ٣/١٨٣، تفسير النسفي ٢/٢٦٥.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠/١٥٢.
(٤) فتح القدير للشوكاني ٣/١٨٣.
(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٤/٢٣٤.

يمسكه هناك إلا الله بقدرته تعالى التي جعل فيها قوى تفعل ذلك، وسخر الهواء يحملها ويسير الطير كذلك، كما قال تعالى ﴿أَوَ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [سورة الملك: ١٩](١).

وكذلك سخر الله سبحانه وتعالى لداود عليه السلام الطير تسبح معه إذا سبح الله، فكان إذا ترنم بالتسبيح تقف الطير في الهواء فتجاوبه(٢)، وهذا من تسخير الله سبحانه وتعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩]

المطلب العاشر: تسخير البدن:

ومن المسخرات التي سخرها الله لعباده، وذللها لمنفعتهم مع عظمتها وقوتها: البدن قال الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الحج: ٣٦ - ٣٧].

"وَالْبُدْنَ" جمع بدنة، سميت لعظم بدنها، وهي الإبل خاصة(٣)، "جَعَلْنَاهَا

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٥٨٠.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/١٨٨.
(٣) الكشاف للزمخشري ٣/١٥٩.

لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ " جعلناها لحكمة أيها الناس من أعلام أمر الله الذي أمـــركم به في مناسك حجكم[1]، ثم بين سبحانه وتعالي أن فيها خير "لكم فيها خيــر" أي خير في الدنيا والآخرة، ففيها منافع دنيوية، أخرج ابن جرير الطبري عن إبراهيــم: ﴿لَكُمْ فِـيها خَـيْرٌ﴾ من احتاج إلـــى ظهر البدنة ركب، ومن احتاج إلـــى لبنها شرب[2].

والخير في الآخرة هو الأجر على الامتثال لشعائر الله بنحرها، وكـــذلك الصدقة منها.

قال الرازي: وما أخلق العاقل بالحرص على شيء شهد الله تعالى بـــأن فيه خيرًا وبأن فيه منافع[3].

"فاذكروا اسم الله عليها صواف " أمر الله سبحانه وتعالى بذكر اسمه عند نحرها، " صواف " مصطفة واحدها صافة، وقد صفت بين أيديها قيامًا على ثلاث أرجل[4].

"فإذا وجبت جنوبها" أي إذا سقطت فوقعت جنوبها إلـــى الأرض بعـــد النحر، "فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر "أمر معناه الندب، وكل العلمـــاء يستحب أن يأكل الإنسان من هديه، وفيه أمر وامتثال إذ كان أهل الجاهلية لا يأكلون من هديهم"[5].

(١) جامع البيان للطبري ١٦٣/١٧.

(٢) المرجع السابق .

(٣) التفسير الكبير للرازي ٣٢/٢٣.

(٤) جامع البيان للطبري ١٦٤/١٧، وانظر: الكشاف للزمخشري ١٥٩/٣، التفسير الكبير للرازي ٣٢/٢٣.

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٤/١٢.

"وأطعموا القانع والمعتر" القانع: السائل، يقال: قنع الرجل قنوعًا إذا سأل، والمعتر: المعترض بغير سؤال[١].

"كذلك سخرها لكم" أي ذللها الله لكم.

قال الرازي: فالمعنى أنها أجسم وأعظم وأقوى من السباع وغيرها مما يمتنع علينا التمكن منه، فالله تعالى جعل الإبل والبقر بالصفة التي يمكننا تصريفها على ما نريد، وذلك نعمة عظيمة من الله تعالى في الدين والدنيا[٢].

قال الزمخشري: من الله على عباده واستحمد إليهم بأن سخر لهم البدن، مثل التسخير الذي رأوا وعلموا، ويأخذونها منقادة للأخذ طيعة فيعقلونها، ويحبسونها، صافة قوائمها، ثم يطعنون في لبانها. ولولا تسخير الله لم تطق، ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش، التي هي أصغر منها جرمًا وأقلّ قوّة[٣].

وهذا التسخير البديع للبدن التي تقاد إلى مواضع نحرها فينتفع بها بعد أن كانت مسخرة للحمل عليها والركوب على ظهرها والحلب لها ونحو ذلك نعمة تستوجب شكر المنعم ﷻ لذا جاء الختام ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي لتشكروا الله على تسخيرها لكم، والإنعام بها عليكم، ثم كرّر التذكير بالتسخير ﴿كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ﴾ لعظيم المنة به.

فالآية في تسخير البدن من نواح عدة أهمها :

- أنها أولاً: من شعائر الله التي يجب أن تؤدى، ومن أعلام الشريعة.

---

(١) جامع البيان للطبري ١٦٩/١٧، التفسير الكبير للرازي ٣٢/٢٣، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٤/١٢.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٣٣/٢٣.

(٣) الكشاف للزمخشري ١٦٠/٣.

ثانيًا: بيان أن فيها خيرًا للناس من المنافع الدنيوية والمنافع الدينية بالأجر في الآخرة جزاء امتثال أمر الله بالأكل والصدقة منها على السائل والمحتاج.

ثالثًا: تسهيل نحرها على الناس، فلولا تسخير الله ﷻ لما استطاع الإنسان تهيئتها للنحر، فهي أعظم منه، وأكبر حجمًا.

رابعًا: الركوب على ظهرها والحمل عليها، واستخدامها في التنقل، فلولا التسخير لم يستطع الإنسان أن يركبها لعظم حجمها، فالله عز وجل سهل له انقيادها وكونها في استطاعته وخدمته.

خامسًا: كذلك الشرب من ألبانها، والأكل من لحومها، والذي خصه الله تعالى بالذكر أيضًا في موضع آخر فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة يس: ٧١ – ٧٣].

وفي آية أخرى يرشد الله عباده المؤمنين إلى صورة من صور الشكر على تسخير الفلك والأنعام، وذلك من خلال التأدب بالذكر المسنون قوله عند ركوبها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [سورة الزخرف: ١٣].

" لِتَسْتَوُوا " أي: يرتفعون معتدلين على ظهوره، ثم يذكروا في قلوبهم نعمة ربهم عليهم بتلك المركوبات، ثم يقولوا بألسنتهم مع تفهم معنى ما يقولون ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[١].

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٨٦/٧، انظر: الكشاف للزمخشري ٢٤٣/٤.

أي ذلل لنا هذا الذي هو ما نركبه من الأنعام والسفن، لأن الأنعام لو لم يذللها الله لهم لما قدروا عليها، ولا يخفى أن الجمل أقوى من الرجل، وما كنا له مقرنين: أي مطيقين(١).

قال الطبري: "تذكروا نعمة ربكم التي أنعمها عليكم بتسخيره لكم مراكب في البرّ والبحر، فعظموه ومجدوه، وقولوا إذا استويتم عليها: "سبحان الذي سخر لنا هذا" الذي ركبناه من هذه الفلك والأنعام، منزهين الله ﷻ عن كل ما يصفه به المشركون، ممن أشرك معه في العبادة وثنًا أو صنمًا، ومعنى ﴿وَما كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ أي: وما كنا له مُطِيقين ولا ضابطين لولا تسخير الله ﷻ، وفي هذا الذكر الكثير من معاني حسن مراعاة الأدب مع الله ﷻ، والمحافظة على دقائق النعم وجليلها.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ واعلم أن وجه اتصال هذا الكلام بما قبله أن ركوب الفلك في خطر الهلاك، فإنه كثيرًا ما تتكسر السفينة ويهلك الإنسان، وراكب الدابة أيضًا كذلك لأن الدابة قد يتفق لها اتفاقات توجب هلاك الراكب، وإذا كان كذلك فركوب الفلك والدابة يوجب تعريض النفس للهلاك، فوجب على الراكب أن يتذكر أمر الموت، وأن يقطع أنه هالك لا محالة، وأنه منقلب إلى الله تعالى(٢).

وفي هذا إقرار بالرجوع إلى الله، وبالبعث، وتذكير للعبد بأنه مستشعر الصيرورة إلى الله، ومستعد للقائه، فهو لا يترك ذلك من قلبه ولا لسانه(٣).

---

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٨٧/٧.
(٢) التفسير الكبير للرازي ١٧٢/٢٧.
(٣) البحر المحيط لأبي حيان ١٠/٨.

هذا هو الأدب الواجب في حق المنعم، يوجهنا الله إليه، لنذكره كلما استمتعنا بنعمة من نعمه التي تغمرنا، والتي نتقلب بين أعطافها ثم ننساه.. وفي هذا وثيق الصلة بتربية القلب وإحياء الضمير فهو ليس مجرد عادات تزاول عند الاستواء على الدابة، ولا مجرد عبارات يتلوها اللسان إنما استشعار لنعمة الله في كل ما يحيط بالناس، مما سخره الله لهم، وهو محض الفضل والإنعام، بلامقابل منهم، فما هم بقادرين على شيء يقابلون به فضل الله. ثم لتبقى قلوبهم على وجل من لقائه في النهاية لتقديم الحساب.. وكل هذه المشاعر كفيلة باستبقاء القلب البشري في حالة يقظة شاعرة حساسة لا تغفل عن مراقبة الله. ولا تجمد ولا تتبلد بالركود والغفلة والنسيان(١).

المطلب الحادي عشر: تسخير الخلق بعضهم لبعض:

إن الله عز وعلا هو الذي قسم بين العباد معيشتهم، وقدرها، ودبر أحوالهم، تدبير العالم بها، فلم يسوّ بينهم ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش، وغاير بين منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء، وأغنياء ومحاويج، وموالي وخدمًا، ليصرف بعضهم بعضًا في حوائجهم، ويستخدمون في مهنهم، ويتسخروهم في أشغالهم، حتى يتعايشوا ويترافدوا، ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم؛ ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم، لضاعوا وهلكوا، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٣٢] (٢).

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ٣١٨٠/٥.

(٢) الكشاف للزمخشري ٢٥٢/٤، وانظر: التفسير الكبير للرازي ١٨٠/٢٧.

ولو سوى بينهم في كل الأحوال لم يخدم أحد أحدًا، ولم يصر أحد منهم مسخرًا لغيره، وحينئذ يفضي ذلك إلى خراب العالم وفساد حال الدنيا(١)، ومعنى تسخير بعضهم لبعض، خدمة بعضهم البعض، وعمل بعضهم لبعض، لأن نظام العالم في الدنيا، يتوقف قيامه على ذلك، فمن حكمته جل وعلا، أن يجعل هذا فقيرًا مع كونه قويًا قادرًا على العمل، ويجعل هذا ضعيفًا لا يقدر على العمل بنفسه، ولكنه تعالى يهيئ له دراهم، يؤجر بها ذلك الفقير القوي فينتفع القوي بدراهم الضعيف، والضعيف بعمل القوي فتنتظم المعيشة، لكل منهما وهكذا(٢).

فتفاوت الناس في الأرزاق والحظوظ سنة من سنن الله السماوية الكونية القدرية لا يستطيع أحد من أهل الأرض البتة تبديلها ولا تحويلها بوجه من الوجوه: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾ [سورة فاطر: ٤٣].

فيستعمل بعضهم بعضًا في حوائجهم فيحصل بينهم تآلف وتضام ينتظم بذلك نظام العالم، وليس ذلك لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر، وهذا في غالب أحوال أهل الدنيا، وبه تتمّ مصالحهم، وينتظم معاشهم، ويصل كلّ واحد منهم إلى مطلوبه، فإن كل صناعة دنيوية يحسنها قوم دون آخرين، فجعل البعض محتاجًا إلى البعض، لتحصل المواساة بينهم في متاع الدنيا، ويحتاج هذا إلى هذا، ويصنع هذا لهذا، ويعطي هذا هذا(٣).

وفيه: دليل على عجز الإنسان، وأن حركة الحياة لا تصلح إلا بمنهج الله

---

(١) لباب التأويل للخازن ١٣٤/٦، وانظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٤٦/٨.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ١١٢/٧.

(٣) فتح القدير للشوكاني ٥٥٤/٤.

ولا تقوم إلا بحكمته ﷻ في قسمة الرزق، ولولا ذلك ما استقامت حركة المجتمع، وماوجدنا مَنْ يقوم بالأعمال الشاقة أو المحتقرة، وتقدم أي مجتمع لا يقوم على التفضّل، إنما على الحاجة، فحاجة الفقير هي التي تدفعه للعمل، وهكذا يتكامل الخَلْق، وتتم المصالح، وتُقضى حاجات المجتمع.

١- فالناس بخير ما تباينوا قال تعالى:﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [سورة هود: ١١٨ - ١١٩].

المبحث الثالث: العبر والعظات المستفادة من آيات التسخير:

إن المتأمل للآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ " التسخير " يجد فيها ذاك التناسب العظيم، بين ذكر التسخير والمسخرات وبين ختام الآيات، بل ويقرأ في ثنايا تفسير أهل العلم للآيات الدلائل والعظات التي يرشدنا الله إلى هدايتها في ظلال الآيات الكريمات، ومما ظهر لي أثناء استقرائي للآيات التي ورد فيها لفظ التسخير من دلائل وفوائد: -

٢- إثبات وحدانية الله ﷻ بتدبر آياته في الكون، فهو الخالق سبحانه والمسخر لهذه الآيات قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٦٤] فعقب سبحانه وتعالى بقوله ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ أي: علامات ودلالات على أن خالق ذلك كله ومنشؤه إله واحد، لمن عقل موضع الحجج، وفهم عن الله أدلته على وحدانيته[١].

---

(١) جامع البيان للطبري ٢/٦٥.

٣- بيان أن التسخير بأمره سبحانه وتعالى ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ "مسخرات بأمره " أي: بتسخيره وتدبيره، الدال على ما له من أوصاف الكمال، فخلقُها وعظَمُها دالٌّ على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له(١).

٤- الإيمان بلقاء الله ﷻ، والبعث بعد الموت لأن من قدر على هذه الأشياء يقدر على الإعادة ٢ قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [سورة الرعد: ٢]

٥- التذكير بنعمة الله سبحانه وتعالى على الخلق، وأن الإنسان لا يستطيع عدها ولا حصرها ومن هذه النعم تسخير الكائنات قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٣ - ٣٤].

٦- شكر الله عز وجل على نعمه علينا قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة النحل: ١٤] أي: ولتشكروا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٢٩١

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٧٩/٩، تفسير البيضاوي ٣١٦/٣

ربكم على ما أنعم به عليكم من ذلك سخر لكم ما سخر من هذه الأشياء التي عدّدها في هذه الآيات[1]، وشكر العبد لربه هو استعماله نعمه التي أنعم عليه بها في طاعته[2]، والتعقيب بالشكر لأنه أقوى في باب الإنعام من حيث أنه جعل المهالك سببًا للانتفاع وتحصيل المعاش[3].

٧- إن في التسخير دلالات وعبر وعلامات لقوم يؤمنون بالله ﷻ، وبما جاءت به رسله[4]، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة النحل: ٧٩] وخص المؤمنين بالذكر لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها، وينتفعون بها دون غيرهم[5].

٨- رأفة الله ﷻ ورحمته بالخلق، بأن سخر لهم ما في السموات وما في الأرض قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحج: ٦٥] فالله عز وجل رءوف رحيم في التسخير والإمساك[6]، قال الشوكاني: أي: كثير الرأفة والرحمة حيث سخر هذه

---

(١) جامع البيان للطبري ٨٩/١٤.

(٢) أضواء البيان للشنقيطي ٣٦٠/٢.

(٣) تفسير البيضاوي ٣٩٠/٣.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥٢/١٠ ، وانظر: فتح القدير للشوكاني ١٨٣/٣.

(٥) لباب التأويل للخازن ١٠٧/٤، إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٣٢/٥.

(٦) تفسير الجلالين ص٤٤٣، زاد المسير لابن الجوزي ٤٤٨/٥.

الأمور لعباده وهيأ لهم أسباب المعاش، وأمسك السماء أن تقع على الأرض فتهلكهم تفضلاً منه على عباده وإنعامًا عليهم[1].

٩- إن في إقرار الخلق بوحدانية الله وتفرده بالخلق والتسخير إلزام لهم بالاستجابة لأمر الله ونهيه، وإنكار واستبعاد لتركهم العمل بموجبه، قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٦١]

١٠- أن بعض الناس لجهله ونقص عقله وتسلط هواه عليه يجادل في وحدانية الله ويتعامى عن دلائل وحدانيته، مع أنه يرى في كل ما حوله أن الله سخّر للناس مافي السماوات ومافي الأرض وأنعم عليهم نعمًا ضافية قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [سورة لقمان: ٢٠]

١١- إن من قدر على مثل هذه الأمور العظيمة من إيلاج الليل في النهار، وإيلاج النهار في الليل، وتسخير الشمس والقمر، فقدرته على العلم بما تعملونه بالأولى فهو ﷻ خبير بماتعملونه من الأعمال ؛ لا تخفى عليه منها خافية قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: ٢٩]

---

(١) فتح القدير للشوكاني ٣/٤٤٦

١٢- إثبات الملك التام لله وحده الذي لاشيء إلا وهو في ملكه وسلطانه[١] قال تعالى ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]

١٣- إن خلق هذه الأجرام العظيمة يدل على عزة الله سبحانه وقدرته وقوته إلا أنه غفار عظيم الرحمة والفضل والإحسان[٢] قال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [سورة الزمر: ٥]

١٤- إن المتأمل في عظمة نعمة الله في تسخير البدن، وهداية الله للبشر بكيفية الاستفادة منها لا يملك أمام هذه المنة الجليلة إلا أن يشكر الله ﷻ قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الحج: ٣٦] وكذلك عليه أن يكبر الله ﷻ ويعظمه عند نحر إبله اقتداء بسيد المرسلين، وطلبًا لأجر المحسنين العاملين قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الحج: ٣٧]

١٥- بيان أن تسخير الله للفلك والأنعام جعل الناس مطيقين لها، ولو لم

(١) جامع البيان للطبري ١٢٥/٢٢.

(٢) التفسير الكبير للرازي ٢١٣/٢٦، لباب التأويل للخازن ٦٧/٦.

يذللها الله لهم لما قدروا عليها ولما أطاقوها[1]، فليس للإنسان قدرة ولا تحكم بالإبل ولا بالفلك ولا بالبحر إلا بتسخير الله قال تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [سورة الزخرف: ١٣]

١٦- فيما أعدّه الله لعباده الصالحين في الدار الآخرة خير مما يجمعونه في الدنيا من الأموال، وسائر متاع الدنيا قال تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٣٢]

١٧- التدبر والتفكر في آيات الله ومخلوقاته، ومنها تسخير الله لما في السموات وما في الأرض للإنسان قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية: ١٣]

١٨- إن الآيات الكونية سخرها الله عز وجل لعباده ليتدبروا، ويتفكروا، ويشكروا الله عزوجل على هذا التسخير، وهذه النعمة من الآيات الكونية التي لايستطيعونها، وكذلك لايستطيعون أن يغيروا نظامها وخلقها الذي خلقت عليه قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت: ٥٣].

(١) أضواء البيان للشنقيطي ٧/٨٧.

• **الخاتمة:**

الحمد لله أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، كما يحب ربنا ويرضى، حمدًا ملء السموات، وملء الأرض، وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، وليس هناك في المحامِد ما يُوافِي نِعم الله ولا ما يُكافئ مزيده، وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، محمد بن عبد الله عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والتسليم، وبعد هذه الوقفات الإيمانية مع المسخرات في الكون، والإبحار في كتب المفسرين العظماء، فلا أجزم أنني استقرأت جميع ما ورد في هذا الباب، ولكن هذا جهد المقل أقدمه بين يدي الباحثين، سائلة من المولى القبول ، ومن أهم النتائج التي أوردتها في ثنايا هذا البحث :

١- من معاني التسخير: التذليل والتطويع، وقيل: هو تسهيل الانتفاع بدون مانع، وهو يؤذن بصعوبة الانتفاع لولا ذلك التسخير.

٢- من فوائد التذكير بنعمة التسخير: إثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى، والإيمان بلقاء الله والحث على شكر الله ﷻ على نعمه العظيمة.

٣- إن الله ﷻ سخر الله لنا أيضًا ما في السموات وما في الأرض، مما ينفع الإنسان ويسعى لمصالحه بأمر الله، وكثيرًا من العوالم التي لا يعلمها الإنسان ولا يستطيعها ولكن الله سخرها له، وأخبره سبحانه وتعالى بتسخيرها له.

٤- ينبه تعالى عباده في تسخيره الليل والنهار يتعاقبان، كل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه، يسير بحركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسهيله.

٥- أن في التذكير بنعمة التسخير إقامة للحجة على الكفار والمشركين بأنهم إن سئلوا عن الأمور العظام التي هي دلائل القدرة كخلق السموات والأرض، وتسخير الشمس والقمر، لم يكن لهم إلا التسليم بأنها لله تعالى، فكيف يصرفون عن توحيد الله مع إقرارهم بهذا كله.

٦- أن تسخير الله للنجوم التي هي الأعلام التي يهتدي بها الناس في الطرق، وهي آية من آيات الله الدالة على عظمة الخالق، وبديع صنعه، تدعو كل غافل من الناس إلى النظر في هذا الكون العظيم من حولنا، فيزداد المؤمن إيمانًا، ويلهج الموحد شكرًا وحمداً.

٧- إن السحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء، فيحيي به البلاد والعباد، رحمة منه ولطفًا، ويصرفه عناية وعطفًا، فما أعظم سلطانه، وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه.

٨- امتن الله عز وجل على عباده بتسخير البحر المتلاطم الأمواج وتذليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه، وجعله السمك والحيتان فيه، وإحلاله لعباده لحمها حيها وميتها في الحل والإحرام، وما يخلقه فيه من اللآلىء والجواهر النفيسة، وتسهيله للعباد استخراجهم من قراره حلية يلبسونها، وتسخيره البحر لحمل السفن التي تمخره.

٩- إن الطير السابحة في الهواء بأمر الله، مذللة للطيران بما خلق الله لها من الأجنحة والأسباب المواتية له لآية عظيمة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

١٠- سخر الله لعباده البدن العظيمة الخلقة، يأخذونها منقادة طيعة فينحرونها، ويأكلون منها ويطعمون، ويتصدقون، ولولا تسخير الله لم تطق، ولم تكن بأعجز من بعض الوحوش التي هي أصغر منها جرمًا وأقلّ قوّة، وكفى بذلك شاهدًا وعبرة.

١١- إن الله عز وعلا هو الذي قسم بين العباد معيشتهم، وقدرها، ودبر أحوالهم، تدبير العالم بها، فلم يسوّ بينهم ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش، حتى يتعايشوا ويترافدوا، ويصلوا إلى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم؛ ولو وكلهم إلى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم، لضاعوا وهلكوا.

اللهم اجعل عملي صالحًا ولوجهك خالصًا وتقبله مني وانفعني به، واجعله حجة لي يوم لاينفع مال ولا بون، إلا من أتى الله بقلب سليم، وصلى الله على خير المرسلين وسلم تسليمًا كثيرًا

- **ثبت المصادر والمراجع :**

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، ت: ٩٥١هـ، دار إحياء التراث العربي - لبنان
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، ت: ٦١٦هـ، دار النشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، تحقيق: علي محمد البجاوي
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ت: ١٢٨٤ هـ، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس -١٩٩٧م
- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ت: ٧٤٥هـ، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض.

- تفسير البغوي، البغوي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك.
- تفسير البيضاوي، البيضاوي، ت: ٦٨٥ هـ، دار الفكر – بيروت.
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ، للإمام: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن ت: ٧٢٥هـ، دار الفكر – بيروت / لبنان – ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م.
- تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، الوفاة ١٩٩٨ م، مؤسسة أخبار اليوم.
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، ت: ٧٧٤ هـ، دار الفكر – بيروت – ١٤٠١هـ.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ت: ٦٠٤ هـ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى.
- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ت: ١٣٥٤هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٩٠ م.
- تفسير النسفي، أبو البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، دار النفائس – بيروت، تحقيق: مروان محمد الشعار
- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ت: ٣٧٠هـ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: محمد عوض مرعب.

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ت: ١٣٧٦ هـ، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، تحقيق: ابن عثيمين.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، ت: ٣١٠ هـ، دار الفكر - بيروت .

- الجامع الصحيح، سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، ت: ٢٧٩ هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ت: ٦٧١ هـ، دار الشعب - القاهرة.

- الدر المصون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)

- الدر المنثور، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ت: ٩١١ هـ، دار الفكر - بيروت - ١٩٩٣ م.

- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، ت: ٧٢٨ هـ، مؤسسة علوم القرآن - دمشق - ١٤٠٤ هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: د. محمد السيد الجليند.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ،:دار إحياء التراث العربي – بيروت.

- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤ هـ، الطبعة (٣).

- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، ت: ٧٥١ هـ، مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية – بيروت – الكويت – ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م، الطبعة: الرابعة عشر، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط.

- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، ت: ٢٧٥ هـ، دار الفكر – بيروت –، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، ت: ٢٧٥ هـ، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ت: ١٢٥٠ هـ، دار النشر: دار الفكر – بيروت.

- كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،: مجموع الفتاوى]، أبو العباس أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، ت: ٧٢٨ مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي.

- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ت: ٥٣٨ هـ دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ت: ٧١١ هـ، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى.

- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى (المتوفى: ٢٠٩هـ).

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، ت: ٢٤١ هـ، مؤسسة قرطبة - مصر.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ت: ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية - بيروت.

- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج أبي إسحاق إبراهيم بن السري، ت: ٣١١ هـ، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ شرح وتحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي.

- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، ت: ٢٠٧ هـ ، دار السرور، تحقيق ومراجعة محمد علي النجار.

- المعجم الوسيط (١+٢)، تأليف: إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار النشر: دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.

- مفتاح دار السعادة ومنشور أهل العلم والولايـة، ابـن القـيم الجوزيـة، تحقيق علي بن حسن الحلبي، راجعه الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيـد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ، الناشـر: دار ابـن عفان.

- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد ، ت: ٥٠٢هـ، دار المعرفة – لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت: ٨٥٥هـ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي.

- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيـب الماوردي البصري، ت: ٤٥٠هـ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.

